

# التعليق على صحيح البخاري

[الدرس الثاني]

لفضيلة الشيخ الدكتور

صالح عبد الكريم حفظه الله ورعاه

\*\*\*\*

## الدرس الثاني

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل لا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: . . .  
فإن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم،  
وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، ثم  
أما بعد،

تكلمنا إخواننا الأكارم في الدرس الماضي عن جملة مما يتعلق بسيرة الإمام البخاري رحمه الله من جهة الاسم والنسبة والبلد والنشأ والأسرة والرحلة العلمية، ثم ختمنا بفقهِ الإمام البخاري، واليوم إن شاء الله نستكمل ما تبقى من سيرة الإمام البخاري، فالיום نبتدأ بذكر ما يتعلق بصفاته وشمائله.

إذا جئنا إلى الإمام البخاري رحمه الله في صفاته فإنه كان رحمه الله مدرسة متكاملة جامعة متألّفة في الصفات وفي عظيم السمات، له صفات عظيمة حري بطالب العلم أن يقف معها وأن يتأمل فيها وأن يجعلها نبراساً في حياته وينظر جوانب التقصير الذي هو فيه.

أولى هذه الصفات الذي كان يتحلّى بها الإمام البخاري رحمه الله صفة الإخلاص فكان رحمه الله رجل أخرة لا يريد ثناء الناس ولا يلتفت إليه وكان حريصاً رحمه الله على إخفاء العمل وله عبارة شهيرة رحمه الله قال: "المادح والذام عندي سواء". وهذه العبارة كما يذكر علماء السلوك هي الضابط في مسألة المخلص، كيف نميز الشخص بأنه مخلص قالوا: "هو الذي يستوي عنده مدح الناس أو ذمهم"، سواء مدحه الناس أو ذمه الناس لا يختلف عنده شيء، لأنه ينظر إلى ما عند الله وأما ثناء الناس أو مدح الناس أو ذمهم فإن ذلك لا يغير شيء في صلته وعلاقته بالله، ومن المواقف التي تدل على الإخلاص عند الإمام البخاري رحمه الله ما جاء عن علي بن محمد ابن منصور يقول سمعت أبي يعني محمد بن منصور، قال كنا في مصلى أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل يعني في مسجد الإمام البخاري، قال فرفع إنسان من لحيته قذاه (قذر) فطرحها على

الأرض (في المسجد)، فال فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، لا يريد أن يلتقط هذه القذاة أمام الناس، قال ينظر إليها وإلى الناس، قال فلما غفل الناس، قال رأيتته مد يده فأدخلها في كفه (يعني داخل الكم حتى لا يراها الناس، أنه فعل عملاً من أعمال الخير، قال: "فلما خرج من المسجد رأيتته أخرجها فطرحها على الأرض، فكان حريصاً جداً على أن يخفي أعماله"، الإخلاص له علامات من أبرز علاماته التي ذكرها العلماء إخفاء العمل الصالح، وكان أيضا من صفاته رحمه الله صفة الورع، ونحن تكلمنا في اللقاء الماضي أن والده كان يتصف بهذه الصفة، ولعل له نصيب مما كان يتخلق به والده من الورع، وصور الورع عند الإمام البخاري رحمه الله كثيرة جداً من أبرزها الورع في جانب اللسان وإطلاق الكلام، يقول الإمام البخاري رحمه الله: "إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أي أغتبت أحداً"، هذا يدل على الورع وحفظ اللسان، وأنه ما خاض يوماً في أبواب الغيبة، وقال رحمه الله: " ما أغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة حرام". هذا يدل على عفة اللسان وأنه كان محافظاً على لسانه بعيداً عن آفات اللسان وزلاته من الغيبة والنميمة وغيرها، حتى أنهم نقموا عليه كتاب "التاريخ"، وكتاب "التاريخ الكبير" الإمام البخاري كتاب في الجرح والتعديل، وكتب الجرح والتعديل لاشك انها تتناول الرجال إما توثيقاً وإما تجريحاً، فليل له أن بعض الناس ينقمون عليك "التاريخ" يقولون فيه اغتيال الناس أي ن هذا الكتاب في الجرح والتعديل قال: "إنما روينا ذلك رواية، ولم نقله من عند أنفسنا، قد قال النبي بأس أخو العشيرة"، حتى في كتاب "التاريخ" اعتمد على الأسانيد في الحكم على الرجال قال هذا حتى أنه من باب الرواية، ويعرف طالب العلم في الحديث أن الإمام البخاري كان ورعاً جداً في مسألة الألفاظ كان ورعاً جداً في مسألة الألفاظ في أحكام الجرح والتعديل كان حتى يستخدم العبارات اللطيفة جداً (سكتوا عنه، فيه نظر)، من العبارات المعروفة عند الإمام البخاري (ربما تركوه) هذا من أشد أنواع الجرح عند الإمام البخاري في باب الجرح والتعديل، وهذا يدل على شدة ورعة في هذا الباب. قال الحافظ ابن حجر في "هـدى الساري" قال البخاري في كلامه على الرجال في غاية التحري والتوقى، قال ومن نظر كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه

وإنصافه، وقال وراق البخاري، وقد ذكرنا في اللقاء الماضي أننا سنكثر الكلام عن وراق البخاري لأنه كان قريباً من البخاري، قال: وقال له بعض أصحابه يقولون: "إنك تناولت فلاناً، قال سبحانه الله ما ذكرت أحداً بسوء إلا أن أقول ساهياً" لا يمكن أن أتكلم على أحد بسوء إلا كان من قبيل السهو، قال وما يخرج أسم فلان من صحيفته يوم القيامة، يعني لو تكلمت على شخص بغير حق أو بسوء، فمن الذي يخرج من صحيفته يوم القيامة، فهذا ورع شديد جدا عند الإمام البخاري في باب الألفاظ، وأيضاً من أبواب الورع عند الإمام البخاري رحمه الله، كما ان لديه الورع في الأقوال، كذلك الورع لديه في باب الأفعال.

فمن الأبواب باب المال عند الإمام البخاري، وقد تعرفنا في اللقاء الماضي أن الإمام البخاري ورث من والده مالاً، ولكنه كان شديد التحري في التعامل مع هذا المال، ومن ذلك أنه رحمه الله لم يدخل يوماً في البيع والشراء، يعني رغم المال الكثير الذي لديه، لم يدخل قط في البيع والشراء، وكان يوكل من ينوب عنه في البيع والشراء، وجاء في بعض الروايات قال مخافة الزيادة والنقصان، يزيد شيء من المال فيحسب عليه فيقفبه أمام الله وَعَلَيْكُمْ، قال رحمه الله: "ما توليت شراء شيء قط ولا بيعه، كنت أمر إنساناً فيشتري لي، فقبل له لما؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط". وحتى في أدق الأشياء قال: أبو سعيد وذكر ابن منير سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: "منذ ولدت ما اشتريت من أحد بدرهم شيئاً قط، ولا بعت من أحد شيئاً قط، فسألوه عن شراء الحبر والكرائس (هذا أمر لا يستغني عنه طالب العلم، كراريس والحبر أمر لا ينفك عنه طالب العلم) فقال كنت أمر إنساناً يشتري لي حتى ما يتعلق بطلب العلم ومن الكتب والكراريس والأقلام، وأيضاً مما جاء في سيرته من المواقف، دفع مالاً إلي بعض من يتاجر به مضاربة، كان البخاري يدفع أموالاً لبعض التجار يستثمرون ثم ينقسم المال بينهم، دفع مالا إلى بعض من يتاجر به وأخذ بعضهم منه خمسة وعشرين ألفاً، فقبل للبخاري استعن بكتاب الوالي عليه (تكلم مع الوالي حتى يسترد هذا المبلغ لأنه مبلغ كبير جداً وخاصة في ذلك العصر) حتى يعيد إليك مالك، فقال: "أن أخذت منهم كتاباً طمعوا" يعني لو ذهب إلى الوالي وأخذت منه كتاب لعلمهم

يطمعون في أشياء مني (كأن فيه تنازل) ولن أبيع ديني بدنياهم، ثم صلح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم، وذهب ماله ذلك كله، أي ضاع عليه هذا المال؛ بسبب شدة التحري في الورع عند الإمام البخاري رحمه الله.

ومن القصص المشهورة قصة تلك البيعة التي عزم البخاري أن ابنه أرسل إليه بضاعة، فطلبها بعض التجار بربح خمسة آلاف، جاءوا إليه من الليل والبخاري عقد أن يبيعهم بخمسة آلاف، ولم يعطيهم كلمة فقال لهم انصرفوا الليلة، قال فجاء من الغد تجار آخرون وطلبوها بربح عشرة آلاف، يعني أكثر بخمسة آلاف، فقال الإمام البخاري أبي نويت أن ابيعها للذين أتوا البارحة ولا أحب أن أغير نيتي، وهذا يدل على شدة ورعه في هذا الباب، وأيضا من الورع والتحلل الناس في باب المظالم، ما ذكره الوراق أيضا قال: سمعت أبا عبد الله يقول لأبي معشر الضرير (أحد علماء الحديث): "قال: إجعلني في حل يا أبا معشر، فقال من أي شيء؟ قال: رويت يوماً حديثاً فنظرت إليك، لما روى البخاري هذا الحديث وكان امامه أبو معشر الضرير قال: وقد أعجبت به وأنت تحرك رأسك ويديك، حال الضرير معجب بالحديث الذي يقول الحديث وهو يحرك رأسه ويديه، قال (البخاري): فتبسمت من ذلك، يقول البخاري تبسمت لما رأيتك تفعل هذا الفعل، البخاري الآن يستحل من هذه الابتسامة، وهذا من شدة الورع عنده، فقال: "انت في حل رحمك الله يا أبا عبد الله"، وهذا كله يدل على ورع الإمام البخاري في الأقوال وفي الأحكام على الناس وفي باب الأموال.

وكان أيضاً من صفاته الزهد، كان لا يلتفت إلى المال، ولا يكثر من الثياب، وكان رحمه الله متقلل جداً من الطعام ولا يكثر منه، قال محمد ابن أبي حاتم الوراق: "قال كان ربما كان ابا عبد الله كان يأتي عليه النهار فلا يأكل فيه إلا رقاقة (قطعة يسيرة)، وقال: "إنما يأكل أحياناً لوزتين أو ثلاثة، وكان يجتنب توابل القدور من الحمص وغيره، وقال الوراق: "وضيفه بعض أصحابه في بستان لهم (رجل من الأثرياء صاحب بستان ضيف الإمام البخاري في هذا البستان) قال وضيفنا معه، فلما أجلسنا أعجب صاحب البستان ببستانه، لأنه كان عمل مجالس وأجرى الماء في أنهاره وجلسات في هذا البستان، فقال له يا أبا عبد الله

كيف ترى (أي هذه المجالس وهذه الأنهار): فقال هذه الحياة الدنيا، يعني لم يلتفت إلى مثل هذه الأمور، وأيضاً جاء في ترجمته في مرض البخاري، لما مرض البخاري عرض مائه على الأطباء (يعني بوله) فقالوا: "إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفة النصارى فإنهم لا يأتدمون (لا يأكلون الخبز)، فصدقه محمد ابن إسماعيل قال (لا أأكل الخبز)، وقال: "لا أأتم منذ أربعين سنة"، فسألوا عن علاجه، وقالوا أن علاجه الإدام (يعني يأكل الخبز مع أي شيء آخر)، قالوا فامتنع عن ذلك حتى ألح عليه المشايخ ببخارى وأهل العلم (حتى يحافظ على صحته) إلى أن أجابهم أن يأكل في بقية عمره في كل يوم سكرة واحدة مع رغيف، فالبخاري رحمه الله كان بعيد عن الإكثار من الطعام والمبالغة في هذا الباب، وهذه كانت في الحقيقة طريقة المحدثين أنهم كانوا لا يبالغون في الأطعمة، حتى أن النظر ابن شمائل أحد علماء الحديث المعروفين قال: "لا يجد الرجل لذة العلم حتى يجوع وينسى جوعه"، لا يجد الإنسان في طلب العلم لذة العلم حتى يجوع وينسى هذا الجوع.

كان رحمه الله من صفاته كثرة العبادة، سواء صيام النوافل أو الحرص على الصلاة وكثرة الخشوع في الصلاة، وكان رحمه الله ممن كان يحتم في كل يوم، كان أكثر من الختمات، والذين كانوا يحتمون في يوم واحد كثير في كتب التراجم، من المواقف ما ذكره أيضاً أبو سعيد بكر ابن المنير، ما يدل على الخشوع عند الإمام البخاري كان محمد ابن إسماعيل يصلي ذات يوم، قال: فلسعة الزمبور سبعة عشر مرة (يعني وهو يصلي) فلما قضى صلاته قال أنظروا ما هذا الذي آذاني في صلاتي؟ فنظروا فإذا هذا الزمبور قد ورمه في سبعة عشر موضعاً ولم يقطع صلاته، وهذا الوضع لا يستطيعه إلا البخاري وأمثاله ممن من إذا دخل في الصلاة نسي الدنيا وتعلق قلبه بالله عز وجل وأتصل بقلبه وبقالبه وبكيانه بالله ﷻ، وكان محافظاً على قيام الليل، كما ذكر الفرابري قال كان: "البخاري كان يصلي وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة"، وقال البخاري عن نفسه: "أقمت بالبصرة خمس سنين ومعني كتي أصنف وأحج في كل سنة وأرجع من مكة إلى البصرة".

لك أن تتخيل المسافة، من البصرة إلى مكة مع صعوبة المواصلات آن ذاك، ولكنه لا يفرط في هذه العبادة مع القرب من ذلك.

وكان أيضا مجتهداً في شهر رمضان في ختمات القرآن ويصلي بهم إمام، ويختم في الصلاة، وفي رمضان كان يكثر من الختمات أكثر من الأيام المعتادة فكانت له ختمة ثابتة بالنهار وكان يختم في كل ثلاث ليل في رمضان. يعني غير ختمة النهار له ختمات تختص بالليل.

قال محمد بن أبي حاتم سأل عبدالله ابن عبد الرحمن الدارمي عن حديث: وقيل له إن البخاري صححه فقال الدارمي (عابد وصاحب علم): فقال محمد أبصر مني، ومحمد بن إسماعيل أكيس خلق الله، إنه عقل ما أمر به ونهي عنه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وإذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه، وتفكر في أمثاله وعرف حرامه من حلاله، فكان مطبقاً لهذه المعاني، وكان رحمه الله أيضا له باع في الجهاد في سبيل الله، وكان يمارس الرمي عملاً بالحديث:

**"ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا"**، فكان يلازم الرمي، بل كان يجيد الرمي، قال محمد ابن أبي حاتم: "وكان أبو عبد الله يركب إلى الرمي كثيراً، فما أعلمني رأيته في طول ما صحبتته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، قال فكان يصيب الهدف في ذلك، وكان لا يسبق"، وهذا يدل على الدقة، وذكر بعض العلماء أن الدقة في بعض الأمور و الممارسات العامة البدنية تورث الدقة الذهنية، أي تنقلب على الإنسان، ولذلك يقولوا أن الشيخ الألباني رحمه الله كان دقيقاً في أمرين، كان دقيقاً في الصيد (الرمي)، وكان دقيقاً في صناعة الساعات وإصلاح خللها، وانعكست هذه الدقة في معرفة علل الحديث، ودقائق ما يتعلق بالحديث، وهكذا الإمام البخاري هذه الدقة التي تكون في بعض الأمور تنعكس على الأمور الذهنية العلمية.

وعنه أيضاً قال: "رأيت أبا عبد الله استلقى على قفاه يوماً ونحن بفرير، في تصنيف كتاب التفسير وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة استخراج الحديث، فقلت له: يا أبا عبد الله سمعتك تقول يوماً: إني ما أتيت شيء بغير علم قط منذ عقلت، فأني علم في هذا الاستلقاء، فقال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم وهذا ثغر

من الثغور خشيت ان يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وأخذ أهبة ذلك فإن غافنا العدو كان بنا حراك (يعني استراحة) حتى يقوي البدن وهذا طبعاً له أصل من مشروع أن الإنسان لو تعبد الله ﷻ وكان في مقام الجهاد، ينبغي إلا تؤثر العبادة على ملاقاته العدو.

ولذلك لما ذكر النبي ﷺ في باب تفاضل الصيام، قال:

**" أَفْضَلُ الصِّيَامِ صِيَامَ نَبِيِّنَا دَاوُودَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا "** ولكنه لا

يضعف إذا لاقى العدو لا يؤثر عليه، ولكن الناس متفاوتون في هذا الباب.

وأيضاً من صور ما يتعلق بالجهاد مشاركته في الثغور وبناء الأربطة والبذل، قال الوراق: "كنا بفربر وكان أبو عبد الله بيني رباطاً مما يلي بخارى (مكان حصن)، فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن فقلت له أنك تكفأ يا أبا عبد الله، ما تحتاج أنك تحمل اللبن في بناء السور و الحصن، فيقول هذا الذي ينفعني عند الله عز وجل، ثم أخذ ينقل الزمبرات معه، وكان ذبح لهم بقرة فلما أدركت القدور (صار الطعام)، دعى الناس إلى الطعام قال وكان بها مائة نفس أو أكثر ولم يكن علم أنه يجتمع ما اجتمع، (ما يكفيهم بقرة واحدة)، وكنا أخرجنا معه من فربر خبزاً بثلاثة دراهم أو أقل، قال: فألقيناه بين أيديهم فأكل جميع من حضر وفضلت أرغفة صالحة، يعني بارك الله عز وجل، لهم في هذا الطعام.

وأيضاً من صفات الإمام البخاري كثرة البذل كان كثير العطاء والنفقة، وكان كثير العناية بطلابه، ينفق على طلابه ولا ييخل بشيء مما أتاه الله ﷻ.

قال الوراق: "وكان أبو عبد الله قليل الأكل جداً، كثير الإحسان إلى الطلبة، مفرط الكرم أي كثير الكرم، وقال أيضاً كان يتصدق بالكثير، يأخذ بيد صاحب الحاجة من أهل الحديث فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين أو أقل أو أكثر من غير أن يشعر بذلك أحداً، وهذا يدل على الإخلاص الذي ذكرناه سابقاً، قال ورأيتاه ناول رجلاً مراراً سرّة فيهما ثلاثمائة درهم، قال: وذلك أن الرجل أخبرني بعدد ما كان فيها من بعد، فأراد أن يدعوا قال له أبو عبد الله: أرفق وأشتغل



بحديث آخر كي لا يعلم بذلك أحد، حتى لا يعلم حاله في الصدقة، وهذا أيضاً داخل في إخفاء العمل الصالح.

قال ابن ناصر الدمشقي قال: "وقد بلغنا أن تجارته كانت من مال ورثه من أبيه، وكان يعطيه مضاربة لمن يتجر فيه، وكان يتصدق منه بالكثير، ويبر الطلبة ويحسن إليهم، وكان أيضاً عطوفاً على الطلبة في المعاملة، فكان يتعامل معهم بالتوجيه وغرس القيم والأخلاق في نفوسهم.

يقول محمد بنابي حاتم: "وكان يصلي في وقت السحر ثلاثة عشرة ركة يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقذي في كل ما يقوم، فقلت له أنك تحمل على نفسك، تقوم من وقت مبكر وتصلي قيام الليل، أنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقذي، قال: أنت شاب ولا أحب أن أفسد عليك نومك" يعني يرفق به في سنه المعرف ان حاجة الشباب الي النوم اكثر من حاجة من هو كبير في السن وكلما طعن الانسان في السن كلما قلت لديه الحاجة الي النوم، قال: وأملى أبو عبد الله علي أحاديثاً كثيرة، فخاف ملاي (خاف أن امل من الحديث لما يطول المجلس قد يمل بعض الناس)، فقال لي: طب نفساً فإن أهل الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجارهم، وأنت مع النبي ﷺ وأصحابه"، أراد أن يخفف عنه، أنه في شرف، أنه في مجلس حديث، ويتعلم حديث النبي ﷺ، بينما غيره منشغل بالدنيا، فقلت ليس شيء من هذا يرحمك الله إلا وأنا أرى الحظ لنفسي فيه (يحرص على حديث النبي ﷺ)، أي الوراق

وكان رحمه الله أيضاً من صفاته تعظيم السنة والعمل بالسنة والحرص على التمسك بالسنة، فمن وصاياه قال: أفضل المسلمين رجلٌ أحيى سنة من سنن النبي ﷺ قد أميتت، فاصبروا يا أصحاب السنن فإنكم أقل الناس (الغربة التي يكون عليها صاحب السنة).

قال مهيب ابن سليم: "سمعت محمد بن اسماعيل البخاري يقول: اعتلتت بنيسابور علة خفيفة وذلك في شهر رمضان، فعادني اسحاق بن رهوي (شيخه، وهو أحد من كان سبباً في تأليف صحيح البخاري) قال في نفر من أصحابه، فقال: أفطرت يا أبا عبد الله، فقلت: نعم، فقال: خشيت أن تضعف عن قبول

الرخصة (المريض له رخصة إذا اشتد به المرض أن يفطر ثم يقضي)، الشيخ يقول خشيت أن تضعف عن قبول الرخصة، قلت: أخبرنا عبدان عن ابن المبارك عن بن جريج قال قلت لعطاء: من أي المرض أفطر؟ قال من أي مرض كان، قال البخاري: ولم يكن هذا عند اسحاق، وهذه لفته بارعة جداً من التلميذ لشيخه أنه أجاب شيخه بأثر وهذا الأثر ليس من مرويات شيخه، وهذا يدل على حفظ البخاري ونباهته وحسن استدلاله.

أيضاً من صفات الإمام البخاري قوة الحافظة والذاكرة، الإمام البخاري آية من آيات الله في الحفظ، فهو يفوق الحواسيب العصرية في الحفظ، كان من الذين يحفظون من المرة الأولى، وكان يجتبر كثيراً، فلا يمسكون عليه غلطة، ولا يستطيعون أن يقفوا معه بسقطة، قال ابو بكر ما رأيت مثل محمد ابن إسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعة فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة، وقد ذكرنا في اللقاء الماضي، أنه كان يحفظ سبعين ألف حديث وهو صبي، كان ذلك في بدايات طلبه للعلم ويسردها سرداً، وهذا يدل على قوة حافظته، قيل له مرة أن والي نيسابور لما ذهب إلى نيسابور قال: "لا تحسن تصلي (أي أن البخاري لا يجسن الصلاة) فقال كيف تصلي، فقال الإمام البخاري لو قيل لي شيء من هذا ما كنت أقوم من ذلك المجلس حتى أروي عشرة الآلاف حديث في الصلاة خاصة، وهذا يدل على قوة الحافظة التي كان يتمتع بها الإمام البخاري.

قال محمد بن أبي حاتم سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر (زملائه في التردد على الشيوخ)، يقولان: كان محمد أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل يختلف معنا وهو بالبصرة فلا يكتب (يحفظ الدروس من غير كتابة) حتى مرة على ذلك أيام كثيرة (مرت أيام كثيرة والبخاري لا يكتب شيء) فكنا نقول له أنك تختلف معنا ولا تكتب، فما معنى ذلك فقال لنا يوم بعد ستة عشر يوم، أنكما قد أكثرتما علي (من السؤال لماذا لا تكتب؟)، قال: فأعرضا علي ما تكتبنا، فزاد علي خمس علي خمسة عشر ألف حديث، خلال هذه الفترة، قال فقرأها كلها عن ظهر قلب، سردها سرداً من غير أن يكتبها، قال: حتى جعلنا نحكم كتبنا علي حفظه

(يضبطون ما كتبه على حفظ البخاري) لأنهم لما يكتبون سريعاً قد يفوتهم شيء ثم قال ان حفظ البخاري لا يفوت منه شيء. ثم قال أترون أن اختلف هدرأ وأضيع أيامي، قالوا فعرفانا أنه لا يتقدمه أحد (في قوة الحفظ).

قال محمد ابن الأزهر بالسري: "كنت في البصرة في مجلس سليمان ابن حرب والبخاري جالس لا يكتب، يعني لما كان يملئ الأحاديث البخاري لا يكتب، فقلت لبعضهم مال أبي عبد الله لا يكتب، قالوا يرجع إلى بخاري فيكتب من حفظه الذي سمعه من سليمان ابن حرب احد المحدثين، تخيل يرجع إلى البصرة، (وطبعاً من بخاري إلى البصرة ستة أشهر)، وقال عن نفسه كتبت عن ألف شيخ أو أكثر عن كل واحد منهم كتبت عشرة الآف حديث أو أكثر ما عندي حديث إلا وأذكر إسناده (يحفظ الأحاديث بأسانيدها)، ومن مواقف الحفظ ما ذكره يوسف ابن موسى احد المحدثين، قال كنت بالبصرة في جماعها، إذ سمعت منادي ينادي يا أهل العلم قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري، فقاموا في طلبه وكنت معهم فرأينا رجلاً شاباً لم يكن في لحيته شيء من البياض يصلي خلف الاسطوانة، فلما فرغوا من الصلاة أحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فقام المنادي ثانياً فنادى في جامع البصرة قدم محمد ابن إسماعيل فسألناه أن يعقد مجلس الإملاء فقال غداً في مجلس كذا في جامع كذا، قال فلما كان بالغداة حدث الفقهاء والمحدثون والحفاظ والنظار حتى اجتمع فريق من كذا وكذا ألف، جلس أبو عبد الله محمد بن إسماعيل فقال قبل أن يبدأ في الإملاء يا أهل البصرة أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تفيدون الكل، قال فبقي الناس وتعجبوا من قوله ثم أخذ في الإملاء. فروى لهم أحاديث بأسانيد مشايخ أهل البصرة وليست عندهم في البصرة، وهذا يدل على الدقة التي كانت عند الإمام البخاري وكثرة المحفوظ الذي كان يتمتع بها.

أيضاً ذكر علي بن الحسن بن عاصم البيكندي قال قدم عليا محمد بن إسماعيل فاجتمعنا عنده ولم يكن يتخلف عنه من المشايخ أحد من علماء البلد، قال فتذاكرنا عنده، فقال رجل من اصحابنا يقول سمعت اسحاق ابن راهوي يقول أني أحفظ سبعين ألف حديث كأني أقرأها من كتابي، قال محمد بن إسماعيل يعني

البخاري أو تعجب من هذا، لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه (يقصد نفسه).

وقال محمد بن حمدى سمعت محمد بن إسماعيل يقول أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح.

أيضاً مما يدل على حفظ الإمام البخاري رحمه الله مجالس الاختبار، كانت طريقة المحدثين أنهم يختبرون بعض الأشياخ بقلب الأسانيد لمتون أخرى حتى يختبروا حفظ هذا الشيخ، والبخاري له عدة مواقف في الاختبارات والمذاكرة، منه ما ذكره الحافظ ابن عدي يقول عدة مشايخ يحكون أن محمد ابن إسماعيل البخاري قدم من بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوها متونها وأسانيدها، فجعلوا هذا المتن لإسناد آخر، وهذا الإسناد لمتن آخر ودفعوها إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمورهم إذا حضر المسجد جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها من البغداديين، قال فلما أطمئن المجلس، انتدب إليه رجل من العشرة، فسأل عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فسأله آخر لا أعرفه، فمأزوا يلقون عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرتهم، فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا ألفت إلى الأول منهم، وقال أما حديثك الأول فهو كذا وكذا، وحديثك الثاني والثالث والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ وازعنوا له بالفضل.

الحافظ بن حجر لما أورد هذه الحادثة قال ليس العجيب أن يرد البخاري الأسانيد إل متونها الصحيحة، العجيب قال أنه حفظها على الوجه الخطأ الذي ألقوه يعني جاء إلى الأول الثاني الثالث العاشر على الوجه الخطأ ثم صححها، فحفظها من المرة الأولى على الوجه الخطأ الذي أملوه، وحفظ البخاري للأحاديث على وجه الولاء، مائة حديث بنفس الترتيب يعيدها لكل واحد منهم على وجهها الصحيح.

قال سليم ابن مجاهد كان بسمرقند اربعمائة ممن يطلبون الحديث فاجتمعوا  
سبعة ايام وأحبوا مغالطة محمد ابن إسماعيل فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق  
وإسناد العراق في إسناد الشام وإسناد اليمن في إسناد الحرمين وإسناد الحرمين في  
إسناد اليمن، قال فما تعلقوا منه بسقطة لا في إسناد ولا في متن، فقلبوا عليه  
الأسانيد والمتون فلم يمسكوا عليه سقطة واحدة.

في مقام المدارس مع الشيوخ يقول البخاري ما استصغرت نفسي عند أحد  
إلا عند علي ابن المديني (شيخه)، وكان حافظاً، قال: "وربما كنت اغرب عليه".  
الإغراب هذا صعب جداً على الشخص المتمكن، لذلك كان من الصعب  
الإغراب على البخاري بالأسانيد والمتون.

قال محمد بن حريث سمعت الفضل ابن عباس الرازي وسألت فقلت: "أيهما  
أحفظ أبو زرعة (أبو زرعة الرازي صاحب حفظ ومشهور عنه الأثر، يقول أحفظ  
مائة ألف حديث كما يحفظ أحدكم **قل هو الله أحد**"، قال: "أيهما أحفظ أبو  
زرعة أم محمد ابن إسماعيل"، فقال: "لم أكن التقيت معه محمد بن إسماعيل،  
فستقبلي ما بين حلوان وبغداد (منطقة التقوا فيها)، قال فرجعت معها مرحلة،  
قال وجهدت الجهد على أن أجيء بحديث لا يعرفه فما أمكنني"، قال وأنا أغرب  
على أبي زرعة عدد شعره، وهذا يدل على شدة وقوة حفظ الإمام البخاري.  
أسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح انه ولي ذلك والقادر عليه  
وصل الله على نبينا محمد

